

محاضرات النص الأدبي المعاصر

الأستاذة شافع بلعيد نصيرة

قسم اللغة والأدب العربي

السداسي الرابع أدب عربي

المحاضرة الأولى:

قصيدة " المهولون " لنزار قباني

1

سقطت آخرُ جدرانِ الحياءِ

وفرحنا.. ورقصنا ..

وتباركنا بتوقيعِ سلامِ الجبناءِ

لم يعد يربنا شيءٌ ..

ولا يخلنا شيءٌ

فقد يبستُ فينا عروقُ الكبرياءِ ...

2

سقطتُ.. للمرةِ الخمسينِ عذريتنا ..

دونَ أن نهتَزَّ.. أو نصرَحَ ..

أو يربنا مرأى الدماءِ ..

ودخلنا في زمانِ الهولةِ ..

ووقفنا بالطوابيرِ، كأغنامٍ أمامَ المقصلةِ

وركضنا.. ولهثنا

وتسابقنا لتقبيلِ حذاءِ القتلةِ ..

3

جَوَّعُوا أَطْفَالَنا عَشْرِينَ عَاماً  
وَرَمَوْا فِي آخِرِ الصَّوْمِ إِلَيْنَا ..  
بِصَلَّةٍ ...

4

سَقَطَتْ غِرْنَابَةٌ

- لِلْمَرَّةِ الْخَمْسِينَ - مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ .
- سَقَطَ التَّارِيخُ مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ .
- سَقَطَتْ أَعْمَدَةُ الرُّوحِ، وَأَفْخَاذُ الْقَبِيلَةِ .
- سَقَطَتْ كُلُّ مَوَاوِيلِ الْبَطُولَةِ .
- سَقَطَتْ إِشْبِيلِيَّةٌ ..
- سَقَطَتْ أَنْطَاكِيَّةٌ ..
- سَقَطَتْ حَطَّيْنُ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ ..
- سَقَطَتْ عَمُورِيَّةٌ ..
- سَقَطَتْ مَرِيْمُ فِي أَيْدِي الْمِيلِيشِيَّاتِ
- فَمَا مِنْ رَجُلٍ يَنْقُذُ الرَّمْزَ السَّمَاوِيَّ
- وَلَا تَمَّ الرُّجُولَةُ ..

5

سَقَطَتْ آخِرُ مَحْظِيَّاتِنَا

- فِي يَدِ الرُّومِ، فَعَنْ مَاذَا نَدَافِعُ؟
- لَمْ يَعْذُ فِي الْقَصْرِ جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ
- تَصْنَعُ الْقَهْوَةَ.. وَالْجَنَسَ ..
- فَعَنْ مَاذَا نَدَافِعُ؟؟

6

لم يعد في يدنا أندلسٌ واحدةٌ نملكها ..  
سرقوا الأبوابَ، والحيطانَ، والزوجاتِ، والأولادَ،  
والزيتونَ، والزيتَ، وأحجارَ الشوارعِ .  
سرقوا عيسى بنَ مريمَ  
وهو ما زالَ رضيعاً ..  
سرقوا ذاكرةَ الليمونِ ..  
والمشمشِ .. والنعناعِ منّا ..  
وقناديلَ الجوامعِ

7

تركوا علبَةَ سردينٍ بأيدينا  
تسمى "غزة"  
عظمةً يابسةً تُدعى "أريحا"  
فندقاً يدعى فلسطينَ ..  
بلا سقفٍ لا أعمدةٍ ..  
تركونا جسداً دونَ عظامٍ  
ويداً دونَ أصابعٍ ...

8

لم يعدَ ثمةَ أطلالٍ لكي نبكي عليها .  
كيفَ تبكي أمةً  
أخذوا منها المدامعُ؟

9

بعدَ هذا الغزلِ السريِّ في أوصلو  
خرجنا عاقرينَ ..

وهبونا وطناً أصغرَ من حبةِ قمحٍ ..  
وطناً نبلعهُ من غيرِ ماءٍ  
كحبوبِ الأسبرينِ !!

10

بعدَ خمسينَ سنةً ..  
نجلسُ الآنَ على أرضِ الخرابِ ..  
ما لنا مأوى  
كآلافِ الكلابِ !!

11

بعدَ خمسينَ سنةً  
ما وجدنا وطناً نسكنهُ إلا السرابَ ..  
ليس صلحاً، ذلك الصلحُ الذي أُدخلَ كالخنجرٍ فينا ..  
إنه فعلٌ اغتصابٌ !!..

12

ما تقيدُ الهرولة؟  
ما تقيدُ الهرولة؟  
عندما يبقى ضميرُ الشعبِ حياً  
كفنتيلِ القنبلةِ ..  
لن تساوي كلُّ توقيعاتِ أوصلو ..  
خردلةُ !!..

13

كم حلمنا بسلامٍ أخضرٍ ..

وهلالٍ أبيضٍ ..  
وببحرٍ أزرقٍ .. وقلوعٍ مرسله ..  
ووجدنا فجأةً أنفسنا .. في مزبله !!

14

من تُرى يسألهم عن سلامِ الجبناء؟  
لا سلامِ الأقوياءِ القادرين .  
من تُرى يسألهم عن سلامِ البيعِ بالتقسيطِ ..؟  
والتأجيرِ بالتقسيطِ .. والصفقاتِ ..  
والتجارِ والمستثمرين؟  
وتُرى يسألهم عن سلامِ الميتين؟  
أسكتوا الشارعَ .. واغتالوا جميعَ الأسئلةِ ..  
وجميعَ السائلينَ ...

15

...وتزوّجنا بلا حبٍّ ..  
من الأنثى التي ذاتَ يومٍ أكلتْ أولادنا ..  
مضغتْ أكبادنا

**مدخل:** الشعر المعاصر الشعر المعاصر هو الشعر الذي كتب في العصر الحديث بعد النهضة الأدبية؛ إذ يعدّ آخر السلاسل الزمنية المتعلقة بالشعر، ويختلف هذا النوع من الشعر عن الشعر القديم في أساليبه ومضامينه، بالإضافة إلى اختلافه في بنياته الفنية والموسيقية وفي العديد من أغراضه أيضًا وموضوعاته، كما ويصنّف الشعر الحديث إلى أصناف متعدّدة، من بينها: الشعر الحر، والشعر المرسل، وشعر الحداثة، والشعر المعاصر، وشعر التفعيلة وقصيدة النثر، ويعدّ الشاعر السوري الكبير نزار قباني من أشهر رواد الحداثة الشعرية العربية المعاصرة .

**نبذة عن حياة الشاعر:** نزار توفيق قبّاني دبلوماسي وشاعر وناشر سوري، يعدّ من أشهر رواد الشعر المعاصر في العالم العربي، ولد هذا الشاعر الكبير في الواحد والعشرين من مارس عام 1923م، في العاصمة السوريّة دمشق، ونشأ في كنف أسرة عربية سورية عريقة تهتم بالعلم والثقافة العامة وتعمل بالتجارة، وقد درس في مدرسة الكلية العلمية الوطنية وتابع دراسته الجامعية في جامعة دمشق في كلية الحقوق، وعند تخرّجه عمل بالسلك الدبلوماسي، وقد أتقن نزار قبّاني إلى جانب اللغة العربية، اللغة الفرنسية والانجليزية وتعلم فيما بعد اللغة الاسبانية، وقد تزوّج نزار قبّاني من بلقيس الراوي، التي أحبّها من نظرته الأولى إليها، وفيما بعد تقدّم لخطبتها عام 1962م، لكن عائلتها رفضت هذا الزواج؛ لما كانت قد سمعته عن نزار بأنه شاعر النساء والحب والغزل، لكنّه بقي على حبّه وعهده لها إلى أن تقدّم لها ثانية بعد سبع سنوات وتزوجها وأنجب منها زينب وعمر، إلى أن جاء اليوم المشؤوم عام 1981م الذي قتلت فيه بلقيس إثر انفجار سيارة مفخخة في بيروت، عاش نزار قبّاني آخر سنوات حياته في مدينة لندن، أكبر العواصم الأوروبية، بعد تنقله بين باريس وجنيف، وكان ذلك بعد مقتل زوجته بلقيس، إلّا أنّه استمر في نشر دواوينه وقصائده المثيرة للجدل، مثل قصيدة المهرولون، وقصيدة متى يعلنون الحرب وكان ذلك خلال فترة التسعينات، وفي عام 1997م أصبح نزار يعاني من تردّد في وضعه الصحي، ليصاب فيما بعد بنوبة قلبية أدّت بالشاعر الكبير إلى أن يسلمّ روحه في لندن في الثلاثين من نيسان عام 1998م، عن عمر ناهز 75 عامًا، وكانت عودته إلى دمشق هذه المرة كجثمان محمول بالطائرة؛ لأن وصيته كانت بأن يدفن في دمشق، وشارك في تشييع جثمانه فنانين ومتقنين سوريين

**آثاره:** خلف نزار قبّاني الكثير من الدواوين التي ضمّت العديد من القصائد الجميلة، التي أصبحت تتردد على ألسنة الناس وألسنة الفنانين، ليجعلوا منها قصائد مغناة بألحان رائعة ومحبة للسمع، ومن أبرز دواوين نزار قبّاني الشعرية مايلي:

قالت لي السمراء: يعدّ هذا الديوان أول دواوينه التي سيتم الحديث عنها ضمن موضوع من هو نزار قبّاني؟ وقد طبعه على نفقته الخاصّة، يميّز بكثرة النغمات التي عدّت انتقالاً نوعية في الشعر العربي، وكسرت من جمود الشعر وتقاليد.

ديوان طفولة نهد: أصدر نزار قباني هذا الديوان عام 1948م، لكن تمّ منعه من النشر؛ لأنّه لقي صدام كبير جدًّا، ومن قصائد هذا الديوان: هي بلادي، لولاك، القبلّة الأولى.

ديوان سامبا: صدر هذا الديوان عام 1949م، يصف فيه رقصة سامبا وقد تميّز بأسلوب راقٍ وموسيقى عالية. ديوان أنت لي: صدر عام 1950م، بدأ فيه في وصف الحبّ، وجميع المراحل التي يمرّ بها المحبين. ديوان قصائد: تتوعت المواضيع في هذا الديوان، وقد وصفه النقاد بأنّه من أفضل دواوينه

ديوان حبيبتني: صدر عام 1961م، ومن أشهر قصائده أظنّ. ديوان الرسم بالكلمات: من الدواوين المميزة التي صدرت عام 1966م، ومن قصائده الرسم بالكلمات. ديوان يوميات امرأة لا مبالية: صدر عام 1968م، وبدأ فيه بمقدمة يستنكر فيها صمت النساء، ويصف الرجل الشرقي ومتناقضاته.

ديوان قصائد متوحّشة: صدر عام 1970م، من أجمل قصائده رسالة تحت الماء. ديوان كتاب الحب: صدر عام 1970م يتسم الديوان بالهدوء، أشهر قصائده مدرسة الحب. ديوان مئة رسالة حب: صدر عام 1970م، لكن تمت مهاجمته؛ لأنّه تناول على الذات الإلهية ومنع نشره. أشعار خارج القانون: صدر عام 1972م، أشهر قصائد الديوان هي زديني عشقًا.

ديوان أحبك والبقية تأتي: صدر الديوان عام 1978م أبرز قصائده، حين أحبك. ديوان إلى بيروت الأنثى مع حبي: صدر عام 1978م غلب عليه فيه حب بيروت.

ديوان كل عام وأنت حبيبتني: صدر عام 1978م، وفيه بعض القصائد النثرية. ديوان أشهد أن لا امرأة إلا أنت: صدر عام 1979م، من أجمل قصائده قولي أحبك.

ديوان اليوميات السرية لبهية المصرية: صدر عام 1979م، وهو من الدواوين الغامضة جدًّا، تحدث فيه عن الحياة السياسية في مصر. ديوان هكذا أكتب تاريخ النساء: صدر عام 1981م، وأبرز قصائد الديوان أريدك أنثى. ديوان ثلاثية أطفال الحجارة: صدر الديوان 1988م، يتحدث فيه عن أطفال فلسطين بعد الانتفاضة الأولى.

**دراسة القصيدة:**

قصيدة المهولون تترجم موقفا صريحا ضد التطبيع/ضد السلام البائس، لشاعر مات بالذبحه الشعرية مخلفا لنا أحزانه وأحلامه...

فدائما الانقلاب في الأحداث السياسية يوازيه الانقلاب الفكري عند أدباءنا وشعرائنا، واتفاقية "أوسلو" التي وقعها الجانبان الفلسطيني و الإسرائيلي سنة 1995م كانت واحدة من أقوى الأحداث السياسية التي دفعت بالأدباء أن يتخذوا منها مواقف متباينة، فمنهم من بارك الاتفاقية ومنهم من شعر بالذل والمهانة وأحس بالوخزة السامة التي أدخلت كالخنجر في صمود شعوبنا. وطبعا كان الشاعر الكبير نزار قباني من الذين سلكوا طريق الغضب والألم، فتفجرت شاعريته بقصيدة المهولون التي دوت صرختها في فضاء السلام الضائع ضاربة عرض الحائط كل توقيعات ومكتسبات "أوسلو". وهي قصيدة تشرحها واقعيته المتمركزة حول ذاتية الشاعر والهادفة إلى الإفصاح- بكيفية مباشرة- عن موقفها من هذا السلام. فعنوان القصيدة قوي بما فيه الكفاية للجهر بالفضيحة: والمهولون في نظر الشاعر هم أولئك الذين يقفون وراء سلام "بائس" و« ما يطرحون علينا ليس سلاما بل مصاصة من (كاوتشوك)، لا حليب فيها وزجاجة نبيد لا قعر لها... ورسالة حب مكتوبة بالحبر السري، ما يعرضونه علينا يأخذ ما فوقفنا وما تحتنا ويتركنا على الحصيرة... وانتقال المواطنين من ارض فلسطينية إلى ارض فلسطينية تحت رحمتهم...والخليل مؤجلة وأعمارنا وأحلامنا كلها مؤجلة... فماذا بقي لنا من فلسطين في ظل هذا السلام "البائس"؟. فنزار يضم القول النثري إلى النظم الشعري ليرسلا ضمن علاقاتهما الأدبية موقفا احتجاجيا ضد مرحلة الانهيار الشامل. وانطلاقا من هذه النظرة الأولية نستنتج أن المرجعية السياسية لقصيدة نزار هي في طابعها العام رفض مبدئي لأي « هرولة » نحو السلام حتى لا تتحول إلى عدو سريع.. وحتى لا يصبح تعريفنا في القاموس البشرية: عربي يساوي الاستسلام قبل بدا المعركة على حد تعبير الدكتور سهيل إدريس.

أما الطابع الخاص في القصيدة فيتقدم فيها الجانب السياسي ويتأخر الجانب الشعري عكس العديد من الانتاجات الأدبية والشعرية التي غالبا ما نستخلص مواقفها بعد تمعن طويل في فنيتها. " فالمهولون" تتميز بأمامية سياسية دون أن تغفل الخلفية الفنية التي لا تقل قوة وجمالية. وعليه فجملتنا نزار من المقطع الأول:

1سقطت آخر جدران الحياء.../2 وفرحنا ../ورقصنا.. /وتباركنا بتوقيع سلام الجبناء../



لا تدعان مجالاً للشك في أن الشاعر قد أعلن السقوط العربي -وسط الفرح والرقص- مباشرة بعد توقيع اتفاقية السلام : (سلام الجبناء) قلباً لعبارة (سلام الشجعان) المتداولة على لسان الموقعين والمباركين , وهذا ليس من قبيل اللعب المضجر بالكلمات والأقوال كما ذهب إلى ذلك الشاعر الفلسطيني امجد ناصر بل هو من صميم موقف الشاعر الذي لا يجد وصفاً آخر لسلام لا يستطيع فيه المواطن الحر المقيد أن يستنشق فيه نسيم الحرية والكرامة. أما الجملة الثالثة من نفس المقطع:3- لم يعد يربعنا./ولا يخلجنا شيء/فقد يبست فينا عروق الكبرياء .. /

فيوضح الشاعر من خلالها النتيجة الحتمية «للمبالاة» و«اللاخجل» بحيث تززع الكبرياء العربي ولحق به الشرف والعذرية في هدوء انقيادي لا مثيل له وهو المعنى الذي نستدركه أيضاً في قوله :

سقطت .. للمرة الخمسين عذريتنا .. /دون أن نهتز أو نصرخ.. / أو يربعنا مرأى الدماء .. /ودخلنا في زمان الهرولة.. /ووقفنا بالطوابير كأغنام أمام المقصلة..

وهذا المقطع يمكن الإطلال من شرفته على نغمة كانت لها غالبيتها في الشعر السياسي النزاري حيث تعمد فيه إثارة الحزن وتقريع الذات، بأسلوب آخر هو قول يصارحنا بحقائق محورها الأساسي النقد الذاتي اللاذع والهادف في الوقت نفسه إلى مراجعة الأوضاع المعاصرة. ولعلها الطريقة الشعرية التي توخى من خلالها نزار قباني الكتابة الفاعلة ورأى فيها الإطار المتاح للشعر السياسي مقارنة بحالتنا المنهارة . واستحضر هنا مثلاً تظهر فيه نفس النغمة ونفس القتامة في الرؤية بل وتتقاسم مع قصيدة «المهرولون» تدريجياً نفس الاستنكار للجبن والاستسلام للمصير المظلم : يقول في قصيدته «الممثلون» :

حين يصير الناس في مدينة.. /ضفادعا مفعوة العيون .. /فلا يثورون ولا يسكرون .. /ولا يغنون ولا يبكون .. /

فقوله«لا يثورون ولا يشكون ولا يغنون ..» هو من قبيل قوله : «دون أن نهتز أو نصرخ أو يربعنا مرأى الدماء» إلا أن الأبيات السابقة من المهرولون تلمح إلى نوع من التحرك , ولكنه تحرك سلبي النتائج . فعوض أن يكون انتفاضة حقيقية وصرخة تحاول دفع الأذى وإنقاذ ما يمكن إنقاذه أصبح تحولنا وتحركنا كمن يمشي إلى الموت برجليه:

ودخلنا في زمان الهرولة.. /ووقفنا بالطوابير كأغنام أمام المقصلة.. /

فقصيدة المهرولون تحقق وجودها الموضوعي شيئاً فشيئاً وتداهم الانحطاط السياسي والقومي وتنتقد جملة الممارسات التي تبتعد عن استقلاليتها ومنها الهرولة والركض واللهث والتسابق نحو تقبيل ومصافحة العدو: وركضنا.. ولهتنا.. /وتسابقنا لتقبيل حذاء القتلة..

والمهرولون أيضا هي رحلة أخرى من رحلات الشاعر النقدية والهجائية التي ضاقت ذرعا بالواقع العربي. ومن ثم تصوغ احتجاجها ورفضها بإدانتها للمهرولين والمتسابقين كما تتدد المرة تلو المرة بالسقوط. وهذا مقطع آخر تشير فيه إلى جميع أشكاله:

سقطت غرناطة/ -للمرة الخمسين- من أيدي العرب /سقط التاريخ من أيدي العرب ./  
سقطت أعمدة الروح.. وأفخاذ القبيلة.. /سقطت كل مواويل البطولة.. /سقطت اشبيلية.. /  
سقطت إنطاكية.. /سقطت حطين من غير قتال /سقطت عمورية ./ سقطت مريم في أيدي الميليشيات.. /فما من رجل ينقد الرمز السماوي. ولا ثم رجولة.. /  
ولا يتوقف الاستهجان عند الذات العربية بل يمتد إلى الآخر /الكيان الإسرائيلي, فلا يتردد الشاعر في نعتهم بالقتلة: « وتسابقنا لتقبيل حذاء القتلة. »

وهم من أسأؤوا معاملتنا وظلموا أبنائنا وسيطروا على ممتلكاتنا و:  
-جوعوا أطفالنا خمسين عاما /ورموا في آخر الصوم إلينا ... /بصلة ./  
- سرقوا الأبواب /والزوجات / والأولاد / والزيتون والزيت / وأحجار الشوارع .. /  
-سرقوا عيسى ابن مريم /وهو ما يزال رضيعا / سرقوا ذاكرة الليمون .. /  
-تركونا جسدا دون عظام / ويدا دون أصابع .. /

وهذا الصراع الأزلي هو من دفع الشاعر إلى رفض كل أشكال التطبيع والمصالحة, وأي تطبيع هو زواج يفقد أعظم شرط وهو شرط الحب :

وتزوجنا بلا حب / من الأنثى التي ذات يوم أكلت أولادنا / مضغت أكبادنا... /  
لكن هذا لا يعني أن الشاعر لا يملك بديلا ديمقراطيا يتصور فيه التعايش السلمي والعادل والذي تتساوى فيه واجبات كلا الجانبين, فقد جاء في إحدى حواراته الساخنة : «إذا كان الإسرائيليون يريدون أن يعيشوا مع العرب وبينهم كما كانوا يعيشون في ظل الدولة السلمية في يثرب وغرناطة وقرطبة والمغرب العربي ... أي كمواطنين في مجتمع ديمقراطي تتساوى فيه كل الديانات والعقائد... ويتساوى فيه المواطنون في حقوقهم المدنية وواجباتهم فأهلا وسهلا بهم.. أما إذا كانوا يريدون أن يحتفظوا بترسانتهم النووية كما هي .. وبمستعمراتهم كما

هي ..فهذا يعني أنهم لم يتخلوا عن أحلامهم التوسعية وفكرهم التوراتي . « لكن الجزء الأخير من الفكرة ينعكس بوضوح على المستوى الواقعي .إذ يلمس الشاعر تعنتا شديدا اللهجة من جانب، وخضوعا واستسلاما من جانب آخر ونتيجة التطبيع بينهما هي وطن ينكسر ويتهشم قطعة قطعة :

بعد هذا الغزل السري في أوصلو / خرجنا عاقرين .. /

وهبونا وطنا أصغر من حبة قمح.. / وطنا نبلمه من غير ماء / كحبوب الأسبرين ... /  
فالمعروف أن أي سلام من شأنه أن يحقن الدماء ويرجع لكل حق حقه لكن سلام «أوصلو» ترك الأمور على نصابها وقسم الوطن إلى أجزاء متناثرة يصورها الشاعر مرة أخرى في قوله :

تركوا علبة سردين بأيدينا / تسمى غزة.. / عظمة يابسة تدعى أريحا .. /  
فندقا يدعى فلسطين / بلا سقف ولا أعمدة ... /

كما أن الصلح الذي لا يتحرى الصدق والديمقراطية لا يستحق أن يسمى صلحا بل اغتصابا للحق والمكسب:

بعد خمسين سنة.. / ما وجدنا وطنا نسكنه / إلا السراب . / ليس صلحا .. / ذلك الصلح الذي ادخل كالخنجر فينا .. / انه فعل اغتصاب .. / بعد خمسين سنة .. / نجلس الآن على الأرض الخراب .. / ما لنا مأوى كآلاف الكلاب ..

ويضيف في مقطع آخر :

ثم أنجبنا لسوء الحظ أولادا معاقين / لهم شكل الضفادع . / وتشردنا على أرصفة الحزن / فلا من بلد نحضنه .. / أو من ولد ..

فتبلغ بنا القصيدة قمة المأساة في هذه الأبيات ، إذ بعد تقسيم الوطن تبدأ حياة التشرد والذل وتضيع وحدة الالتحام حول الوطن، وحول المستقبل الذي نرى فيه الغد المشرق، والشاعر لا يمنعا من أن نحلم بل يدعونا إلى المغامرة لتحقيق أحلامنا حتى لا نتحول إلى كومة من الحجارة وشرط أن تكون أحلامنا وأفكارنا صادقة وبناءة لا تشبه تلك الأحلام التي أزعجتنا بتفاصيلها ونتائجها :

كم حلمنا بسلام أخضر . وهلال ابيض . / وبحر ازرق / وقلوع مرسله... / ووجدنا فجأة أنفسنا في مزيلة...

وكتابات نزار كانت دائما تنطلق من الموضوعية القائمة على مراجعة النفس والمتمركزة حول  
يقظة ضمير الشاعر واختراقه لكل ما يعترض كيانه وكيان الأمة، وعليه فجديد الهرولة رافقه  
جديد آخر هو قصيدة المهرولون التي تتجلى فيها تلك اليقظة :

ما تفيد الهرولة؟/ما تفيد الهرولة؟ عندما يبقى ضمير الشعب حيا كفتيل القنبلة..//لن تساوي  
كل توقيعات اوسلو.../خردله..

فتوقيعات أسلو وما تلاها لا تقف في وجه الشعب المناضل المتشبث بوطنه ووطنيته، رغم  
ما يعانيه من تشريد وتكيل على أيدي الاحتلال وبتواطؤ مع القيادات , الأمر الذي لم يغفل  
الشاعر الحديث عنه طيلة حياته وعلى طول كتاباته حيث سجل السير الذاتية لأشهر رموز  
القمع عبر التاريخ من « أبي جهل » إلى «الحجاج» إلى «السياف العربي» وهي شخصيات  
إن حدث وتصادفت مع الواقع فهي من صميم الواقع :

من ترى يسألهم /عن سلام الجبناء؟؟/لا سلام الأقوياء القادرين /.../من ترى يسألهم عن  
سلام الميتين.. /

اسكتوا الشارع../واغتالوا جميع الأسئلة../وجميع السائلين..

كما يدل القمع واغتياي الكلمة دلالة واضحة المعالم على تغييب الرأي العربي عامة  
والفلسطيني خاصة، فكل ما جنيناه هو الإقصاء والتهميش الذي يقول عنه الشاعر :  
لم يكن في العرس رقص عربي./أو طعام عربي./أو غناء عربي./ فلقد غاب في الزفة أولاد  
البلد../

وفي مقابل الإقصاء العربي نجد الحضور الأمريكي .فأمريكا أصبحت أكبر دولة تمارس  
القمع السياسي في العالم، تجهز قواعدها وترفع مدافعها في وجه الأحرار، وتقوم بدور  
المحامي المقننر عن الفاشية/الإسرائيلية .أمريكا هي التي تجهز أعراسنا وتصمم أفراحنا  
على المقاس الذي يروق لها لنبقى خارج هذا الفرع المصطنع :

كان نصف المهر بالدولار../كان الخاتم الماسي بالدولار ..كانت أجرة المأذون بالدولار  
...والكعكة كانت هبة من أمريكا ../وغطاء العرس والزهر ,والشمع, وموسيقى المارينز../كلها  
قد صنعت في أمريكا ../وانتهى العرس ..ولم تحضر فلسطين الفرع /بل رأيت صورتها  
مبثوثة عبر كل الأقنية/ ورأت دمعها تعبر أمواج المحيط / نحو شيكاغو..وجرسي.. و

ميامي ..وهي مثل الطائر المذبوح تصرخ :/ليس هذا العرس عرسي../ ليس هذا الثوب  
ثوبي ../ليس هذا العار عاري ../أبدا يا أمريكا ../أبدا يا أمريكا ..

فالمهولون هي انفعال يتجه إلى فضح العيوب والسلوكيات الانهزامية وهي ردة فعل  
قوية تشخص السقوط الذي تسير فيه مواقفنا السياسية والأيدولوجية. والمهولون هي صرخة  
"نبوية" أطلقها الشاعر منذ أزيد من اثنا عشر سنة وها هو السلام البائس يتحقق فعلا  
وهاهي دول عربيه أخرى تجني ثمار السلام البائس، فقد دخل العراق في حرب وتشرذم ودخل  
جنوب لبنان في دمار وخراب. وكهنة أمريكا هم وحدهم يعرفون على من يأتي الدور ...

## المحاضرة الثانية: نشأة الرواية العربية وتطورها

### تعريف القصة وأشكالها

إنّ القصة عبارة عن قوالب تعبير يعتمد فيها الكاتب على سرد أحداث معينة، تجري بين شخصية وأخرى إلى نقطة معينة، أو شخصيات متعددة ، تتأزم فيها الأحداث وتسمى العقدة ويتطلع المرء معها إلى الحل حتى يأتي في النهاية، وتتفرع القصة إلى ثلاثة أشكال وهي:

#### أ- الأقصوصة:

وهي عبارة عن قصة قصيرة تعالج جانباً واحداً من الحياة، لا عدة جوانب، فنقتصر على سرد حادثة، ذات عناصر جزئية، تتدرج تحتها لتؤلف موضوعاً مستقلاً بشخصياته ومقوماته

ب- القصة وهي وسط بين الأقصوصة والرواية وتعالج جوانب أوسع مما تعالجه الأقصوصة وكاتب القصة أمامه مجال رحب وفرصة واسعة ليعدد مشاهدتها، يطور أحداثها على صورة قوية متكاملة

الفرق الجوهرى بين الأقصوصة والقصة هي إنّ طبيعة الأقصوصة هي التركيز، فهي تدور حول حادثة أو شخصية أو عاطفة مفردة أو مجموعة من العواطف...ولهذا فهي لا تزدهم بالأحداث والشخصيات والمواقف كالرواية والقصة.

#### ج- الرواية :

هي أكبر أنواع القصص من حيث طولها ولكن الطول ليس وحدها هو يميز الرواية عن القصة أو الأقصوصة، فالرواية تمثل عنصراً وبيئةً، أي أنّ لها بعداً زمينياً من المؤلف أن يكون زمانها طويلاً ممتداً، بل ربما اتسع البعد الزمني، فاستغرق عمر البطل أو أعمار أجيال متتابعة.

### عناصر الرواية

فن القصة يقوم بمعالجة المشاكل المحددة فى الحياة أو جانب من شخصية أو الشخصيات التي تصور الحياة الإنسانية وله مقومات منها:

#### الحدث :

يرتبط الحدث بالشخصية في الأعمال القصصية إرتباط العلة بالمعلول وعلى هذا فإنّ الرواية = فعل(حدث) + فاعل(شخصية)، فالحدث إذن شيء هلامي إلى أن تشكله الشخصية بحسب حركتها نحو مسار محدد يهدف إليه الكاتب ومعنى ذلك أنّ الحدث هو "الفعل القصصي" أو هو الحادثة "event" التي تشكلها حركة الشخصيات، لتقدم في النهاية تجربة إنسانية ذات دلالات معينة.

### الشخصية:

الشخصية هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث وقد تكون الشخصية من الحيوان، فيستخدم عندئذٍ كرمز يشف عمّا وراءه من شخصيّة إنسانيّة تهدف من وراءها العبرة والموعظة، كما في، "كليلة ودمنة"، والقصص التعليميّة الأخرى. وقد تكون الشخصية في القصة رئيسية، وقد تكون ثانوية.

### الشخصية النامية:

تنمو بنمو الأحداث وتقدم على مراحل أثناء تطور الرواية وهي في حالة صراع مستمر مع الآخرين، أو في حالة صراع نفسي مع الذات.

### الشخصية المسطحة :

لا تكاد طبيعتها تتغير بداية القصة حتّى النهاية، وانما تثبت على صفحة واحدة تكاد لا تفارقها.

### لغة الحوار والسرد

الحديث عن السرد والحوار- في حقيقته- حديث عن الوعاء اللغوي، الذي يحتوي كل عناصر القصة، باعتبارها نوعاً من فنون القول، غير أن كتابة القصة "باللغة" أصعب من كتابة القصيدة والمسرحية اللتين تستخدمان أيضاً نسقاً أسلوبياً واحداً.

### السرد

السرد قول أو خطاب صادر من السارد، يستحضر عالماً خيالياً مكوناً من أشخاص يتحركون في إطار زمني ومكاني محدد ومادام السرد قولاً فهو لغة ومن ثم فانه يخضع لما

تخضع له اللغة من قوانين وأهداف والهدف الذي تسعى إليه اللغة هو، "التواصل أو التوصيل.

### الحوار

الحوار جزء من البنية العضوية للرواية له ضرورته وأهميته فهو يدل على الشخصية ويحرك الحدث ويساعد على حيوية المواقف ولا بد أن يكون دقيقاً بحيث يكون عاملاً من عوامل الكشف عن أبعاد الشخصية أو التطور بالموقف إلى تجلية النفس الغامضة أو الوصول بالفكرة المراد التعبير عنها والحوار الجيد يكشف عن معاناة شاقة مع الموقف والكلمة ودلالات اللفظ.

### الزمن

يمثل الزمن عنصراً من العناصر الأساسية التي يقوم عليها فن القص، فإذا كان الأدب يعتبر فناً زمنياً- إذا صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية- فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن.

### المكان

المكان هو البيئة التي يعيش فيها الناس ولا شك أن الإنسان «ابن البيئة» وهي التي تعطيه الملامح الجسدية والنفسية فنحن جميعاً بشر، لكن المكان الذي تولد فيه هو الذي يحدد سمائنا الخاصة المتميزه، لذلك يجب أن يهتم الكاتب القصصي بتحديد "المكان" اهتماماً كبيراً... فقصه الحب مثلاً تختلف اختلافاً واضحاً إذا وقعت في قرية أو مدينة أو بادية، كذلك ينبغي أن يعني الكاتب بتصوير مفردات المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات.



## المحاضرة الثانية:

### الرواية العربية المعاصرة ونجيب محفوظ

يحتمل "نجيب محفوظ" مكاناً فريداً في تاريخ الرواية العربية، وقد لعب في تطورها دوراً لا أخاله أتيح لكثيرين غيره من كتاب الرواية في العالم... يقف نجيب محفوظ على رأس الجيل الثاني من كتاب الرواية في مصر والجيل الثاني فبدأ ظهوره في الأربعينات وهم "نجيب محفوظ"، و"إسحار"، و"عادل كامل"، و"يحيى حقي" و"عبد الحليم عبد الله"، و"يوسف السباعي».

حاول نجيب محفوظ في أثناء فترة الصراع الأيديولوجي من أجل تحديد الأصل الحضاري لمصر أن يفعل ما فعله "وولترسكوت"، بالنسبة لتاريخ إنجلترا ومن هنا مضى يعد خطة لكتابة تاريخ مصر في أربعين رواية ثم انتقل من المرحلة التاريخية إلى المرحلة الواقعية وهي تشتمل الروايات الواقعية التحليلية والروايات الواقعية النقدية تشتمل الروايات، "القاهرة الجديدة 1945م"، "خان الخليلي 1946م"، "زقاق المدق 1947 م"، و"السراب 1948م"، و"بداية ونهاية" 1941م

### محمد حسين هيكل و روايته "زينب"

إنّ حياة محمد حسين هيكل (1888-1956) يمكن أن تلقى ضوءاً كاشفاً على ظروف نشأة الرواية في مصر، ذلك أنّ هيكل ابن للطبقة البرجوازية الفنية، قريبة العهد في الظهور في البيئة المصرية، ومن هنا يقترن ميلاد الرواية بميلاد الطبقة الوسطى، وفي مجال الربط بين الشعور القومي وظهور الرواية العربية ... هو من أوائل من عبّروا تعبيراً واضحاً عن الشخصية المصرية، أي أنه عبر عن الوجدان القومي لشعب يزيد أن يثبت وجوده وشخصيته وطابعه المستقل ولذلك يرى بعض الباحثين أنّ رواية زينب تعد تمهيداً لثورة 1919م، وأنها صدرت عن وجدان قومي خالص، يهدف إلى تمجيد مصر والتعني بها.

تعد روايه زينب، أول رواية فنية في تاريخ الأدب العربي، بدأ كتابتها وهو في باريس، يدرس الاقتصاد السياسي سنة 1910م، وأكملها سنة 1911م، ونشرها سنة 1912 م، ورواية زينب

تصور واقع الريف المصري فى تقاليد القاسية وطبيعته السمحة...فهي تحكي قصة شاب مثقف من أبناء الطبقة المتوسطة اسمه "حامد"، يحب ابنة عم له اسمها "عزيزة"، وتحول التقاليد القاسية فى الريف دون التعبير عن هذا الحب... ثم أختار أهلها زوجا آخر لها، ويحرم منها حامد نهائياً، ثم يجد حامد، بعض العزاء عند فتاة ريفية من الطبقة الكادحة اسمها زينب ولكن تفضل عليه " إبراهيم" رئيس العمال الذي تعمل تحت إشرافه...ويتم حرمانه من زينب ،وفى خلال الرواية نرى بأنّ زينب تزوج مع رجل آخر .

في الحقيقة تسعى هذه الرواية أن تبين للقارئ، حالة القرية التي لا تعترف بمشروعية الحب بين الرجل والمرأة وأنّ التقاليد القاسية، ترسم خطوط العيش ولابدّ للناس أن يستسلم أمام هذه التقاليد القاسية ومصيرهم القدرى.

وإن كان محمد حسين هيكل فى روايته زينب تأثر إلى حدّ كبير بالأدب الفرنسى حال كونه يشكو لبعده عن الوطن وحنينه له ولقريته... ولكن قد استطاع أن يقدم رواية فنيّة واقعيّة يبين زاوية من الحياة الريفية.

وأخيراً نقول: «نجح هيكل بهذا فى روايتي التعليم والتسلية والتي كانت تدور فيها الأحداث غالباً بمعزل عن الواقع...وقد استطاعت رواية زينب أن تؤخر عن عدد من الأعمال الروائية التي أتت بعدها والتقت معها في موقعها الريادى من ناحية وفي غلبة طابع الاعترافات الذاتية عليها من ناحية أخرى.

## المحاضرة الثالثة: الرواية الجزائرية المعاصرة

تعد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية من أهم الفنون الأدبية التي ظهرت ظهورا محتشما إذا ما قورنت بالرواية المكتوبة باللغة الفرنسية وربما يرجع ذلك للأوضاع السياسية التي عاشتها الجزائر في فترة الاستعمار وتعد أول رواية جزائرية ناضجة رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، حيث تحكي الرواية عن طالبة جامعية تدعى نفيسة تدرس بالجزائر العاصمة رضخت لتقاليد عائلتها المحافظة، وأبوها الإقطاعي المتسلط وأمها المنبوذة الطيبة، يجبرها أبوها بالزواج بمالك رئيس البلدية إلا أنها ترفض ذلك وتفر، يلدغها ثعبان في الطريق يسعفها رايح الحطاب متوجها بها إلى بيته، وتسعفها أمه البكماء، يبحث عنها عابد بن القاضي والدها مقتحما منزل رايح مشيرا له بموس البوسعادي نحو رقبة رايح فتفيض روحه، فتسرع والدة رايح البكماء فتحضر فأسا وتنزل بها على رأس عابد فيلقى أرضا، وفي نهاية الرواية يصور الروائي نفيسة وهي عائدة إلى بيت أبيها حزينة .

### -نشأة فن الرواية في الجزائر:

إنّ نشأة الرواية الجزائرية غير مفصولة عن نشأتها في الوطني العربي، حيث لها جذور عربية و إسلامية مشتركة كصيغ القصص القرآني و السيرة النبوية و مقامات الهمذاني و الحريري و الرسائل و الرحلات.

وقد كان أول عمل في الأدب الجزائري ينحو نحوا روائيا هو "حكاية العشاق في الحب و الاشتياق" لصاحبه محمد بن إبراهيم سنة 1849م، تبعته محاولات أخرى في شكل رحلات ذات طابع قصصي منها "ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس " سنوات (1852م، 1878م، 1902م) ، تلتها نصوص أخرى كان أصحابها يتحسون مسالك النوع الروائي دون أن يمتلكوا القدر الكافي من الوعي النظري بشروط ممارسته مثلما تجسده نصوص: "غادة أم القرى" سنة 1947م لـ أحمد رضا حوجو، و" الطالب المنكوب "سنة 1951م لـ عبد المجيد الشافعي،و" الحريق" سنة 1957م لـ نور الدين بوجدر، و "صوت الغرام" سنة 1967م لـ

محمد منيع، إلا أن البداية الفنية التي يمكن أن نؤرخ في ضوءها لزمان تأسيس الرواية في الأدب الجزائري اقتترنت بظهور نص "ريح الجنوب" سنة 1971م لـ عبد الحميد بن هدوقة..

### -الرواية الجزائرية و الواقع السياسي:

لقد سايرت الرواية الجزائرية الواقع، و نقلت مختلف التغييرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيير، ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية، خاصة الثورة ضد الاستعمار، كما سايرت النظام الاشتراكي وهذا ما نجده في عقد السبعينات، ودخلت الرواية في ما بعد مرحلة جديدة فيها ثورة و نضال وانهزام، إذ انطلق الكاتب من الواقع الذي عاشه وعائشه في زمن الأزمة فاصطلح عليه ب "أدب الأزمة".

### الرواية الجزائرية في فترة السبعينات:

لقد سبق وأن عرفنا أن مرحلة السبعينات كانت المرحلة الفعلية لظهور رواية فنية ناضجة، وذلك من خلال أعمال عبد الحميد بن هدوقة في "ريح الجنوب"، و "وما لا تذره الرياح " لـ محمد عرعار، و "اللاز" و "الزلزال" لطاهر وطار، و بظهور هذه الأعمال أمكننا الحديث عن تجربة روائية جزائرية جديدة متقدمة إذ أن العقد الذي تلى الاستقلال مكن الجزائر من الانفتاح الحر على اللغة العربية، وجعلهم يلجئون إلى الكتابة الروائية للتعبير عن تضاريس الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته، سواء أكان ذلك بالرجوع إلى فترة الثورة المسلحة، أو الغوص في الحياة المعيشية الجديدة التي تجلت ملامحها من خلال التغييرات الجديدة التي طرأت على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية.

إنّ من سمات الرواية في هذه الفترة الشجاعة الطرح و المغامرة الفنية، وهذا راجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد، الذي كان مناقضا للواقع السياسي الاستعماري قبل هذه الفترة، على اعتبار أن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية و الانفتاح. فالقمع و الاضطهاد قد يدفع الكاتب إلى تبني مواقف ما كان ليتبناها لو أن الإطار السياسي كان مختلفا.

إن الطابع السياسي الذي انطبعت به النصوص الروائية في هذه الفترة لا يمنع الطرح الجذري الذي اتسمت به هذه النصوص الروائية و القائم على محاكمة التاريخ أو الواقع الراهن بلغة فنية جديدة. ولقد جاء هذا الطابع كحتمية لتركيبية ثقافة الرواد الأوائل الذين كان لهم السبق في تأسيس الرواية الجزائرية الحديثة، وكل هذا تأتي لهم من خلال انخراطهم في السلك السياسي ومعايشتهم للحدث والمساهمة فيه، فالروائيون الأوائل كانوا من جيل الثورة و الاستقلال، ولذلك فقد تمتعوا بحصانة و تجربة في رصيدهم كما يقول أبو القاسم سعد الله: " رصيد الثورة و نضج سياسي و تجربة نضالية".

جعلهم الأمر يجمعون بين الإبداع و السياسة، فقد كان ابن هدوقة ممثلاً لحزب أنصار الديمقراطية وحركة الطلاب الجزائريين بتونس أثناء دراسته، كذلك كان منخرطاً في حزب جبهة التحرير و اشتغل في الإذاعة بعد الاستقلال، وكان الطاهر وطار عضواً في جبهة التحرير إبان تأسيسها، كما أنه اشتغل بالسياسة و الصحافة التونسية، و بعد الاستقلال تفرغ للعمل السياسي بجبهة التحرير كمراقب للجهاز المركزي للحزب.

وقد منح هذا الرصيد من التجربة السياسية هؤلاء الرواد بعداً سياسياً للرواية التي نشأت بين أيديهم، مثلاً بن هدوقة أسهم برواياته في إثراء الحركة الروائية من حيث مواجه الحياة ومشاكلها و التعبير في قضايا المجتمع وطموحاته، و نشر الوعي السياسي، وتدعيم آمال الطبقة الكادحة.

كتب ابن هدوقة رواية "ريح الجنوب" في فترة الحديث عن الثورة الزراعية فأنجزها في 1970م، مساندة للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة لفك العزلة عن الريف الجزائري و الخروج به إلى حياة أكثر تقدماً و ازدهاراً، ورفع اليأس و الشقاء عن الفلاح ومناهضة كل أشكال الاستغلال عن الإنسان و قد تكرر هذا الخطاب السياسي في قانون الثورة الزراعية الصادر رسمياً في 08 نوفمبر 1971م.

هذا هو الجو الذي تنفست فيه "ريح الجنوب"، حيث جرت أحداثها في الريف بمنطقة تقترب من الهضاب العليا بين جنوب الوطن و شماله ، وهي حكاية بسيطة نواتها أب إقطاعي يدعى ابن القاضي يريد تزويج ابنته نفيسة لرئيس البلدية بغرض المحافظة على أملاكه من المشروع الجديد والمتمثل في الثورة الزراعية إلا أن ابنته رفضت ذلك، لقد ربط ابن هدوقة

في هذه الرواية حرية المرأة بالتخلص من الإقطاعية في شكل معادلة متكاملة لا ينجح المشروع الجديد إلا بتحقق طرفيها فيقول: «لا يمكن أن تتحرر المرأة و الأرض بدون تغيير العلاقات الاجتماعية السائدة، فالإقطاع لا يتمثل في الماديات وحدها بل هو قبل كل شيء مواقف معينة».

و مهما يكن من أمر فإن الرواية بمحيطها وشخصياتها تعبير عن وضع ريفي في بداية السبعينات يتخبط في بحر من الهموم و المشاكل متأملا في تغيير جذري تجسد في المشروع الجديد المتمثل في الثورة الزراعية.

وفي رواية "نهاية الأمس" أعاد «بن هدوقة» طرح قضية الإقطاعية ووقوفها في وجه المشروع الإصلاحي، إذ صور لنا الروائي الصراع القائم بين البشير النموذج الإصلاحي و ابن صخري النموذج الإقطاعي فهي كما يقول محمد مصايف: " صراع بين نزعتين تمثل إحداهما الإقطاع و حب الاستغلال و الرغبة في إبقاء ما كان على ما كان وتمثل الآخرين و هي نزعة البشير و المتقدمين أمثاله العمل من أجل الصالح العام، ورفض كل أنواع الاستغلال والهيمنة و الرغبة المؤكدة في إصلاح الأوضاع الاجتماعية الفاسدة في الريف الجزائري.

أمّا الطاهر و طار، فقد جاءت أعماله لتؤرخ لكل التغييرات و التطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري منذ الثورة المسلحة إلى غاية الاستقلال، وقد كان للإغراءات الإيديولوجية و الفنية التي تميزت بها مدرسة الواقعية الاشتراكية دور في جعل أعمال وطار تتسم بنوع من التلقائية و الرؤية الشمولية، كما جعلته قادرا على إدراك تلك العلاقات الجدلية بين الفرد و أفكاره و أفعاله و الحياة بكل صراعاتها. عاد في رواية اللار إلى سنوات الثورة التحريرية مصورا لنا مرحلة من مراحلها، حيث حاول فيها البحث عن بذور الأسباب التي عرقلت مسيرة الثورة بعد الاستقلال مستغلا شخصيات الرواية في دفع الأحداث و تقديم رؤاه الاجتماعية و النضالية و الثورية و الإيديولوجية، فقد حفلت بالنقد للأوضاع و الأفكار و الشخصيات و المواقف التي يراها الكاتب من وجهة نظره غير سوية، وتعتبر شخصية اللار الشخصية المحورية التي تتطور بتطور أحداث الرواية، حيث تتحول من شخصية عادية "اللاز بن مريانة" إلى رمز الشعب الجزائري بأكمله، فكما وجد اللار ضالته في عثوره على

أبيه زيدان الممثل الأساسي للإيديولوجية الشيوعية التي يزعم إعجاب الشعب الجزائري وتعلقه بها، كما وجد الشعب الجزائري ضالته في الفاتح من نوفمبر 1954م بعد أن عاش أكثر من قرن ينسب إلى أصل غير أصله، إن الربط بين "اللاز" الفتى الشقي اللقيط الذي يحمل كل الشرور و لا يعرف من أبوه و بين الشعب الجزائري الأصيل الذي لم ينسى أصله و عقيدته، هو ربط لا يتماشى مع الواقع، و لا يمكن قبوله من وجهة النظر التاريخية و العقائدية للشعب الجزائري ومع ذلك يبقى الموقف مقبولا من الناحية الفنية.

ذلك أن وطار كما يقول في بداية روايته هذه: " أنني لست مؤرخا و لا يعنى أبدا أنني أقدمت على عمل يمد بصلة كبيرة إلى التاريخ، رغم أن بعض الأحداث المروية وقعت أو وقع ما يشبهها "إنني قصاصا وقفت في زاوية معينة لألقي نظرة بوسيلتي الخاصة على حقبة من حقبة ثورتنا ". .

إذا كانت رواية "اللاز" قد صورت لنا مرحلة من مراحل الثورة، وذلك من خلال رؤية إيديولوجية محددة فكانت بمثابة الأرضية الفكرية للكاتب، فإن روايته الأخرى "الزلال" جاءت لتحقيق هذه الرؤية الإيديولوجية في الواقع الاجتماعي و الاقتصادي كحل شرعي لمخلفات الثورة التحريرية. فقد صور لنا الكاتب في روايته هذه حكاية إقطاعي جاء من العاصمة ليحمي أملاكه من شبح الثورة الزراعية كما تصور الرواية جانبا كبيرا من تغيير الحياة فجد لنا واقع المدينة و مشاكلها الناتجة عن الهجرة الداخلية، وكانت مدينة قسنطينة بجسورها مسرحا لأحداث الرواية.

هذا باختصار بعض المضامين للنصوص الروائية التي ظهرت خلال هذه الفترة و التي كانت كلها تسير في فلك الإيديولوجية الاشتراكية المتبناة من ظروف الدولة من أجل بناء الدولة الجزائرية الجديدة بعد أن أحرزت الاستقلال، و لما بدأت مرحلة الدولة الجزائرية الجديدة ساهمت كل المؤسسات في رفع هذا الصرح و ساهمت الرواية كجسر أدبي و مؤسسة اجتماعية أدواتها اللغة في بناء مشروع الدولة.

### •الرواية الجزائرية في الثمانيات:

كانت التجربة الروائية للكاتب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة للتحويلات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثل هذا الجيل اتجاه تجديديا حديثا في هذا النمط الأدبي الجزائري،

ومن التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر روايات واسيني الأعرج مثل "وقع الأحذية الخشنة" سنة 1981 م، و "أوجاع رجل غامر صوب البحر" سنة 1983 م، ورواية "نوار اللوز" أو "تغريبة صالح بن عامر الزوفري" سنة 1982م، التي يستثمر فيها التناص مع تغريبة ابن هلال وكتاب "المقبري" "إغاثة الأمة لكشف الغمة".

كما أخرج واسيني الأعرج نمطا روائيا آخر في هذه الفترة تحت عنوان "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" سنة 1983م، الذي يهدر فيها دم الشيوعي "لخضر" وهو من الشخصيات السياسية الأساسية في هذه الرواية، كان شيوعيا نقد الحكم بذبحه ذلك المجاهد البسيط "عيسى" زمن الثورة وهذه الرواية مثلت النظرة النقدية للتاريخ الرسمي الجزائري. كما كتب الحبيب السايح رواية "زمن التمرد" سنة 1985 م، ومن الأعمال الروائية الجزائرية في هذه الفترة أيضا أعمال الروائي جيلالي خلاص رواية "رائحة الكلب" سنة 1985م، و روايته "حمام الشفق" سنة 1988م، كما كتب أيضا مرزاق بقطاش روايته "البزاق" سنة 1982م، و"عزوز الكابران" سنة 1989 م، الذي يقف فيها شيخ الجامع وهو شخصية من شخصيات الرواية يعد رمز للتيار السلفي المتضامن مع النزعة الوطنية، ممثلا للفكرة الوطنية الموحدة في الجوانب الإيديولوجية المتباينة، في هذه الرواية يلتقي المعلم وهو من الشخصيات الأساسية بهذا الشيخ في الزنزانة وقت صلاة الظهر حيث يؤنب شيخ الجامع هذا المعلم و يخبره بأنه غير راض عليه، لأنه في رأيه لا يعلم الأطفال ما ينبغي تعليمه وهو أن يعلمهم الحقيقة و كذا التمرد على حاكم مثل «عزوز الكابران».

إن لقاء المعلم بشيخ الجامع في الزنزانة وحوارهما حول ضرورة التمرد على عزوز الكابران هذا يشير إلى التضامن الوطني القومي مع السلفي من أجل خدمة القضية الوطنية، ولكن الملاحظ أن شخصية شيخ الجامع أكثر حضورا في النص لتعبر عن الهيمنة الإيديولوجية الغالبة على الرواية، كما يلاحظ في هذه الرواية أن شرعية السلطة تقوم على العنف باعتباره الوسيلة الأساسية لتحقيق المطلب السياسي. وقد أخرج رشيد بوجدره عدة أعمال روائية نذكر من بينها رواية "التفكك" سنة 1982 م، و "المرث" سنة 1984م، و"ليليات امرأة آرق" سنة 1985، و "معركة الزقاق" سنة 1986م. (20)

كما يتابع الطاهر وطار في هذه الفترة كتابة جزئه الثاني من رواية "اللاز" وهي تجربة العشق



و الموت في زمن الحراشي "سنة 1980م، الذي يرسم فيه مآل الثورة بعد الاستقلال، عبر الاصطاف بين الحركة الطلابية وممن يتوسلون الدين ليجهضوا الثورة الزراعية، ويجهزوا على التحول الاشتراكي.

إن ما يلفت النظر في هذا المنحى هو هذا السعي الجاد من رواد الرواية العربية الجزائرية إلى الانخراط ضمن التوجه الجديد في الممارسة الروائية و الاستفادة من تقنيات الرواية الجديد سواء العربية منها أم العالمية، حيث نشر عبد الحميد بن هدوقة روايته "الجازية و الدراويش" سنة 1983م التي مثلت إضافة نوعية لمسيرته في علمه الروائي، حيث استثمر فيها سيرة بني هلال ليتناول من خلالها إشكاليات الثورة زمن الاستقلال، وما يتم عنها من صراعات و تناقضات و تشخيص إخفاق العديد من اختياراتها و انحراف ممارستها عن الأسس و المبادئ الأصلية التي تبنتها زمن حرب التحرير، و هي النقدية السياسية التي بلور معالمها الأديب الطاهر وطار في روايته "الحوات والقصر" سنة 1980م، و "تجربة في العشق" سنة 1988م، حيث كشف فهما عن سمعة السلطة القمعية والوصولية و الانتهازية التي تحكم جزائر الاستقلال، وهذا في صياغة جزئية لم تتهيب من المحذور السياسي.

### الرواية الجزائرية في التسعينات:

بعد الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية، و التي مست كل طبقات المجتمع، أخذت الرواية منعرجا آخر عالج موضوع الأزمة و آثارها فاتخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائرية مدارا لها، منها تتولد أسئلة متنها الحكائي و في أحضانها تتشكل مختلف عناصر سردها.

إنّ الإرهاب ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي يفترفها بل بفظاعتها و درجة و حشيتها، وعندما يتعلق الأمر بالجزائر فإنّ الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعا، إذ استغرق مدة غير قصيرة لكن انشغال الناس به في سعيهم اليومي و أرقهم الليلي لم يمنع بعض الكتاب من تسجيله بل إن ثقله هو الذي يفرض على الكاتب حالة من الحضور يصعب عليه أن يتصل منه. إذا فموضوع العنف المعروف إعلاميا بالإرهاب، كان مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية، إلا أن هذا العنف لم يكن الطابع الوحيد الذي طبع في السنوات الماضية، إذ لم تكن عشية الأزمة فقط

بل كذلك كانت عشرية التحول نحو اقتصاد السوق و تسريح العمال و إلغاء انتخابات 1992.

حيث واكبت الرواية الجزائرية هذه المرحلة الجديدة، مرحلة التكتلات وبهذا ظهرت رواية المعارضة كبديل عن رواية السلطة التي فقدت هيبتها بعد أحداث 08 أكتوبر 1988، وبذلك فسحت المجال لرواية المعارضة بعد توفر مناخ الحرية الذي أفرزه دخول الجزائر مرحلة اختيارات جديدة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي، فزالت سياسة الحزب الواحد، و جاءت التعددية الحزبية وقد رافق هذا المعطى السياسي اعتبار حرية التعبير في الدستور حقا من حقوق المواطنة، و بهذا أصبح النص الروائي ملزما بتجديد موقفه مما يحدث، و كما كان الروائي الصوت المعبر عن هموم الجماعة و الصادر عن عمقها، كان أول ردود فعله اتجاه ما يحدث هو الوعي بالمأساة الوطنية. (29)

فقرأنا روايات لمختلف الأجيال التي تعاطت موضوع العنف السياسي و آثاره اجتماعيا و اقتصاديا وثقافيا، حيث يلتقي الطاهر وطار في "الشمعة و الدهاليز" مع واسيني الأعرج في "سيدة المقام" في البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها، كما جسدها آخرون كإبراهيم سعدي في "فتاوي زمن الموت" و محمد ساري في "الورم"، و بشير مفتي في "المراسيم و الجنائز" فمثلا في "سيدة المقام" يصور لنا واسيني الأعرج معاناة مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية الصامدة، و يرجع سبب هذه المعانات إلى النظام و التيار المظلم المعادي لكل مظاهر التقدم والتحضر.

## المحاضرة الرابعة : المسرح العربي المعاصر

### - تعريف المسرحية:

المسرحية لغةً هي كلمة مشتقة من المسرح، وهي الخشبة التي يُقدّم نص سردي عليها، أما اصطلاحاً فهي نوع من الفن الأدبي الذي تمثل فيه فئة من الأفراد حادثة إنسانية، حيث يحاكون أدوارها بناءً على حركتهم ودورهم على المسرح، بالإضافة إلى الحوارات التي تتم بينهم فيها وقد تكون جميع أحداثها متحققة، أو بعضاً منها متحقق، ويجوز أن يكون قسماً منها من الخيال أو من الواقع، والغاية من هذا الفن الأدبي هي الانتقاد، أو التثقيف، أو المتعة الفنية، أو العظة.

### نشأة المسرح العربي المعاصر

كانت البداية الجادة والمستمرة للمسرح العربي منذ الثالث الأخير للقرن التاسع عشر ، وكما قلنا سابقاً كانت نقلاً عن الحضارة الأوربية وعلى الرغم من " أن تطور العقل هو نتيجة تملك الخبرة الإجتماعية المتراكمة تاريخياً عبر فعاليات عدد هائل من الأجيال يقف كل منها على أكتاف أسلافه ، فخواص وقدرات كل فرد هي نتاج للتطور التاريخي الإجتماعي للبشرية بأجمعها " (30) ولا ضير من الاستفادة من التطور الذي وصل إليه المسرح الأوربي وبالذات (التكنولوجي ) على شرط أن تكون المواضيع والأفكار التي يتناولها الفنان العربي مأخوذة من تاريخه و تراثه وأصوله العربية . لكن المؤسف أن هذه التأثيرات الأجنبية ظلت ملازمة لتطور مسرحنا العربي حتى يومنا هذا ، عدا بعض المحاولات التي أرادت أن تتخلص بشكل أو بآخر من هذه التأثيرات ، مثل محاولات ( إبراهيم جلال - وقاسم محمد - ويوسف العاني - في العراق ) (الطيب الصديقي - المغرب ) ، (سعد الله ونوس - وممدوح عدوان - وفواز ساجر - من سوريا ) ، ( عبد الرحمن ولد كاكي - من الجزائر ) ، (المنصف السويسي - تونس ) (عبد الرحمن الشرقاوي ، الفريد فرج -مصر ) ، وغيرهم من دول عربية أخرى . في حين نجد ان الجيل الذي أعقب النقاش والقباني وصنوع ، أكدوا على ضرورة الالتزام بالتقاليد التي نقلوها من الأصول الأجنبية ، مما جعلهم يلتزمون إلى فترات طويلة بالنصوص المقتبسة والمترجمة أو المعدة عن الأصول الأجنبية - فرنسية ، إيطالية ، إنجليزية ، تركية . بل ان بعضهم راح يقدم تلك المسرحيات بلغاتها . فجورج أبيض قدم (طر طوف -موليير )

و ( مدرسة الأزواج ) باللغة الفرنسية . ويوسف وهبي ، أدخل الرطانة ودورة الفم وثقل اللسان أي ، النطق من سقف الحلق ، والموضوعات المفتعلة التي ترضي كل الطبقات . لقد كانت كل هذه التجارب متأثرة بعاملين ، الأول : تقليد المسرح الأوربي . والثاني : ارضاء طبقة معينة من المجتمع ، ليست هي الطبقة الشعبية ، لذا لم يستطع هؤلاء الفنانون خلق مسرح أصيل .

تلى هذا الجيل من الرواد تلامذتهم ، الذين استمروا على منوال أساتذتهم مقلدين لهم . والقسم الآخر ، راح يجرب وفعلا توصلوا من خلال تجاربهم إلى مضامين وأشكال مختلفة بعض الشيء وكان طموحهم هو " أن يضيفوا إلى الثقافة العلمية شيئا يحمل سماتنا وجوهنا ، وربما من خلال التراث أو من خلال التعامل مع الثقافة العالمية بمنظار عربي

### مسرحية الأجواد لعبد القادر علولة

تعني كلمة الأجواد بالمعنى الحرفي الكرماء ، كما أنها تعتبر الفكرة الرئيسة للمسرحية، فهي عبارة عن جدارية تمثل الحياة اليومية وبعض الجزئيات من حياة الجماهير الكادحة، والناس البسطاء ، أنها مناظر إنسانية نصادفها كل يوم من واقعنا الاجتماعي ، وهذه اللوحات الفنية تكشف لما عن سلوكيات ومواقف هؤلاء الناس البسطاء المتميزون بالجود والكرم والسخاء ، وكيف تكفلوا بتفاؤل كبير وبإنسانية متأصلة بالمشاكل الكبرى للمجتمع . وقد كان يوم الرابع من جويلية سنة 1985 العرض الأول لهذه المسرحية ، التي «أعيدت لتعرض في ثانويات وهران أمام الآلاف من التلاميذ ، وغالبا ما قدمت في الهواء الطلق بالمؤسسات التعليمية ، كما قدم عرض لفائدة مرضى مستشفى الأمراض العقلية بسيدي الشحمي ، ليكون عدد(400 مرة عدد مرات عرضها وقد حصلت على أربع جوائز، جائزة كانت على المستوى الوطني في المهرجان الأول للمسرح المحترف بالجزائر، وجائزة مهرجان قرطاج المسرحي في دورته الثانية في أكتوبر ونوفمبر 1985 ،هاتين الجائزتين اللتين حصدهما الممثل" سيراط بومدين "على أدائه لشخصية "جلول الفهايمي، حيث أن نال مؤلفها "عبد القادر علولة" الحياز على التشريف الرمزي لرجل السنة الثقافية.

الأجواد" تتكون من سبعة مشاهد ، كلها تصوير لمعاناة الطبقة الكادحة من المجتمع وهي فئة العمال البسطاء ، حيث كشف لنا المشاكل والسلبيات التي كان يعاني منها المجتمع

الجزائري في فترة التنمية والتغيرات الاجتماعية التي مر بها ، وكذلك التحولات التي عرفتھا المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية . وتمثل مسرحية "الأجواد" لـ عبد القادر علولة" المسرحية الأكثر اكتمالا بين المسرحيات الأخرى ، فهي تكشف الوجه الحقيقي لتجربته ككاتب ومخرج مسرحي